﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ [الإسراء: 2]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

فاقت معجزةُ الإسراء كلَّ معجزةٍ مشاهدة

لمّا ذكر اللّهُ تعالى في الآية الأولى إكرامَه محمّدًا ﷺ، بما كان له مِنَ الإسراء ليلًا مِنَ المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولم يكن لأحد مِنَ الرّسل الكرام مثلُ هذه المعجزة، ناسب أن يذكر أكثرَ رسولٍ ذُكر في القرآن، مِن حيثُ إعطاؤه مِنَ الآيات الشّيء الكثير، وذلك لبيان فضلِ رسول الله ﷺ على الرُّسل الكرام، لا سيّما تقدّم ذِكْر إبراهيمَ عليه السلام في أواخر سورة النّحل، فهو توسيطُ رسولِ الله ﷺ بين نَبيَّينِ عظيمين، آتاهما اللّهُ ﷻ مِنَ المعجزات العظيمة، والكتبِ الفريدة، حتّى قرنَهُما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: 18 - 19]، فالتّناسب بينَ الآيات يورِث معرفةَ العلاقةِ بين أولئك الرّسل، وما آتى اللّهُ كلًّا منهم، والفَضْل الذي خصّه بكل واحد منهم، وبه تَفْضُل رِحلةُ الإسراء بقيَّةَ المعجزات المشاهَدة، كما فَضَل نبيُّنا بقيَّةَ الأنبياء، فهذا وجه مناسبةِ إيرادِ هذه الآيةِ بعد الآية الأولى.

التّوراة هي الشّريعة القائمة عند أهل الكتاب المعاصرين للنّبوّة

من ناحية أخرى، لمّا كانت الآية السّابقة التي افتُتِحت بها السّورةُ، قد ذكرت تلك النّعمة العظمى التي أنعم اللّهُ ﷻ بها على النّبيّ؛ إذ أسرى به مِنَ المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، في تلك الرّحلة العجيبة؛ ناسبَ ذلك أن يَجيء ذِكْر النّعم التي أنعم اللّهُ بها على عباده، التي يُعَدُّ مِن أَجَلّها وأعظمِها إرسالُ الرُّسل إلى النّاس، ولمّا كانتِ التّوراة التي نزلت على موسى، هي الشّريعةَ القائمة عند أهل الكتاب المعاصرين للنّبوّة مِن يهودٍ ونصارى؛ كان ذِكْر موسى

والكتابِ الذي أُنزل عليه، أقربَ وأولى ما يُذْكَر في هذا المقام[1]، فـ"هذه الآية الكريمة موصولةٌ بما قبلَها للدّلالة على أنّ النّبوّة متّصلةٌ متّحدَةٌ في غايتها، وفي نهايتها"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: (كتب) الكافُ والتّاءُ والباءُ أصلٌ صحيح واحِد يدُلُّ على جمعِ شيء إلى شيء، مِن ذلك الكِتابُ والكِتابةُ، يُقالُ: كتبتُ الكِتابَ أكتُبُهُ كتبًا[3]، ومعناه المحوريّ: إلصاقٌ بدقّة وقوّة، كإلصاق جانبي شَقِّ القُربة، ومن ذلك الكتابةُ المعروفة، فهي إلصاقُ الكلام بتثبيت رموزه في وجه مادّة قويّة؛ حجرٍ أو جِلْدٍ، إثباتًا قويًّا تصعب إزالتُه[4]، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ المراد في الآية هو التّوراة المُنْزَل على قلب موسى عليه السلام.

2) ﴿هُدًى﴾: الهاءُ والدّالُ والحرفُ المُعتلُّ أصلانِ؛ أحدُهُما: التّقدُّمُ لِلإرشادِ، والآخرُ: بَعْثَةُ لطف، فالأوّلُ قولُهُم: هديتُهُ الطّريقَ هِدايةً، أي: تقدّمتُهُ لِأُرشِدهُ، وكُلُّ مُتقدِّم لِذلك هاد، قال[5]:

إذا كانَ هادي الْفَتَى في الْبِلا*** دِ صَدْرَ الْقَناةِ أَطاعَ الْأَميرا

ويَتشعَّبُ هذا فيُقالُ: الهُدى خِلافُ الضَّلالةِ، تقولُ: هديتُهُ هُدًى[6]، "والهداية دلالةٌ بلطف، ومنه: الهَديّة، وهوادي الوحش، أي: متقدّماتها الهادية لغيرها، وخُصّ ما كان دلالةً بـ (هَدَيتَ)، وما كان إعطاءً بـ (أهديت)"[7]، والمراد في الآية: أنَّ كتاب موسى هدايةٌ وإرشادٌ لبني إسرائيل إلى طريق الحقّ والنّجاة.

3) ﴿وَكِيلًا﴾: الواوُ والكافُ واللّامُ: أصلٌ صحيح يدُلُّ على اعتمادِ غيرِك في أمرِك، مِن ذلِك الوُكْلَةُ، والوَكَلُ: الرّجُلُ الضّعيفُ، يقولون: وُكَلَةٌ تُكَلَةٌ، والتّوكُّلُ مِنهُ، وهو إظهارُ العجزِ في الأمرِ والاعتِمادُ على غيرِك، وواكلَ فُلانٌ: إذا ضيّع أَمْرَهُ مُتّكِلًا على غيرِهِ[8]، والتّوكيلُ:

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 433 - 434.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4331.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كتب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كتب).
(5) البيت للأعشى، وهو في ديوانه، ص: 96.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كتب).
(7) الرّاغب، المفردات: (هدى).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكل).

أن تعتمد على غيرك وتجعلَه نائبًا عنك، والوَكيلُ فعيلٌ بمعنى المفعول، قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النّساء: 81] أي: اكتف به أن يتولّى أمرَكَ، ويتوكّلَ لك، والتّوكُّلُ يقال على وجهين، يقال: توكّلتُ لفلان، بمعنى: تولّيتُ له، وتوكّلتُ عليه، بمعنى: اعتمدته[1]، ومعنى الوكيل في الآية: مُعينًا ونصيرًا ومُعتَمدًا عليه في قضاء حوائجكم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شَـــرفُ بـنـي إسرائيل باتّباعِ الوحي وتوحيدِ ربّ العالمين

تُخبر الآيةُ بفضل الله تعالى على نبيِّ الله موسى ﷺ، بأن آتاه اللّهُ التّوراة، وجعله نبراسَ هدًى لبني إسرائيل، وهذا الإيتاءُ شرفٌ لبني إسرائيل بأن خصَّهم بهذا النّبيّ الكريم، وبهذه الشّريعة المباركة، وهي دينُ الإسلام الذي أنزله اللّهُ على جميع رسله، فالعقيدةُ واحدة، وهي عقيدة التّوحيد، والشّريعة مختلفة، إلى أنِ استقرَّ الأمرُ في نهاية الزّمان لرسول الله ﷺ، فكان القرآنُ هو المُهيمنَ والنّاسخ لجميع الكتبِ المتقدّمة؛ فأنزل اللّهُ تعالى التّوراة لإنقاذ بني إسرائيل مِنَ الضَّلالة والكفر، ثمّ أخذ عليهم العهدَ كي ينصرَهمُ اللّهُ تعالى، أن لا يتّخذوا مِن دونه ناصرًا ومُعينًا ونِدًّا في الالتجاء إليه، وقضاءِ حوائجهم، وإلّا وقعوا في الشِّرك بعد أن كانوا مسلمين موحِّدين.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

تعيين المعطوف عليه بواو: ﴿وَءَاتَيْنَا﴾:

عـطفُ النِّعمةِ على النِّعمة مِن آثـار المِـنَّـة على الأُمّة

الواو في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا﴾ للعطف، وفي تعيين المعطوف عليه أوجه:

الأوّل: الجملة السّابقة مِن تنزيه الرّبّ ﷻ، ولا يَلزم في عطف الجُمَل مشاركةٌ في خبر ولا غيره.

(1) الرّاغب، المفردات: (وكل).

الثّاني: قوله: ﴿أَسۡرَىٰ﴾، وهو بعيد، لصَيرورة التّركيب: سبحان الذي أسرى وآتينا، وهو في قوة: الذي آتينا موسى، فيعود ضمير المتكلِّم على الموصول مِن غير مُسوِّغ لذلك.

الثّالث: ما في قوله: ﴿أَسۡرَىٰ﴾ من تقدير الخبر، كأنَّه قال: أسرينا بعبدنا، أريناهُ آياتِنا وآتينا، وهو قريب من تفسير المعنى لا الإعرابِ[1].

الرّابع: على محذوف تقديره: فآتينا عبدَنا محمّدًا ﷺ الكتابَ المُفصّلَ المُعجزَ، وجعلناه هدًى للخَلْق كافّةً، وآتينا موسى الكتاب[2].

الخامس: جُملة ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾، والتّقديرُ: (اللّهُ أسرى بِعبدِهِ مُحمّد ﷺ وآتى موسى الكِتابَ)، فهُما مِنّتانِ عظيمتانِ على جُزء عظيم مِنَ البشرِ[3].

دلالةُ التّعبير بالإيتاء دون الإعطاء:

إيتاءُ الكتابِ إيصالٌ بوساطة الوَحي

الإعطاء الإنالة، واختصّ العَطيّة والعطاء بالصّلة[4]، في حين أنّ الإيتاء هو إيصالٌ للمقصود مطلقًا، ولذلك خُصّتِ الزَّكاةُ باستعمال الإيتاء؛ لأنَّه لا يُشترط في إيصالها لمُستحقّيها المُناولةُ، وعلى هذا فلمّا لم يكنِ اللّهُ تعالى قد ناول موسى عليه السلام الكتابَ مناولةَ يَدٍ بيد – وحاشاه – جعل ما وصل إليه عليه السلام مِن هذا الكتاب – وهو التّوراة – إيتاءً عن طريق الوحي إبلاغًا وإعلامًا.

سِرُّ تخصيصِ موسى عليه السلام بالذِّكر:

نبيّانِ كريمان تشرَّفا بتعظيم الإراءَة والإيتاء

خُصَّ موسى عليه السلام بالذِّكر في هذا السّياق؛ لِمُناسبةِ قولِه: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾، فكان ذلك في قوّةِ أن يُقال: وآتيناهُ القُرآن وآتينا موسى التّوراة، كما يشهدُ بِهِ قولُهُ بعد ذلك: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي

(1) ابن عادل الحنبليّ، اللّباب في علوم الكتاب: 12/ 206.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 294.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 25.
(4) الرّاغب، المفردات: (أتى، عطا).

هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، أي: لِلطّريقةِ الّتي هي أقومُ مِن طريقةِ التّوراةِ، وإن كان كِلاهُما هُدًى، على ما في حالةِ الإسراءِ بالنّبي ﷺ ليلًا، مِنَ المُناسبةِ لِحالةِ موسى ﷺ حين أوتي النُّبوّةَ، فقد أوتي النّبوءةَ ليلًا وهو سارٍ بأهلِهِ مِن أرضِ مَدْين إذ آنسَ مِن جانبِ الطّورِ نارًا[1]، ففيه إيماءٌ إلى دعوتِه ﷺ إلى الطّور، وما وقع فيه مِنَ المناجاة، جمعًا بينَ الأمرين المتّحدَين في المعنى[2].

معنى التّعريف في: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾:

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو المعهودُ إيتاؤُهُ موسى ﷺ وهو التّوراةُ[3]، فالتّعريف للعهد العلميّ أو الحُضوريّ لعدم سبق ذِكْره، لا صراحةً ولا كنايةً، إلّا أنّه مُدْرَكٌ معْروفٌ لدى السّامعِ، حاضرٌ حضورًا تامًّا، ومِن هنا سُمّي التّعريفُ بـ (أل) هنا للعهد العلميّ أو الحضوريِّ.

الـكـتـابُ هو التَّوراة

نُكْتَةُ التّعبيرِ عنِ التّوراة بالكتاب:

عبّر النَّظْم القُرْآنيّ عنِ التّوراة بـ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، في كونها صُحفًا مكتوبةً كما في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 145]، والمعهودُ لدى النّاس أنّ الكُتبَ السّماويّة ما كانت مكتوبةً مدوّنةً؛ ليتمّ حفظُها، فعَبَّر بالمَحلِّ وهو الكتاب، وأراد الحالّ فيه وهو المكتوب، على طريق المَجاز المُرسل، ونُكْتَةُ التَّعبيرِ بالكتابِ: الإيماءُ إلى أنَّ ما سيُقَصّ على المُخاطَبين في الآيات اللّاحقة مكتوبٌ، يعرفه بنو إسرائيلَ مِن كتابهم.

الإيماءُ إلى أنَّ ما سيُذْكَر في الآيات اللّاحقة مكتوبٌ معلوم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 25.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 155.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 25.

معنى الواو ودلالتها في: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾:

موطنُ المِنَّة على بني إسرائيل هدايتُهم بالوحي

الواو في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ عاطفةٌ على نظيره في ﴿وَءَاتَيْنَا﴾؛ لاتِّفاق زمانهما، وهما لفظتان تتبع الثّانية منهما الأولى في الحُكم الإعرابيِّ، فهي من قبيل عطف الجملة على الجملة لإتمام المعنى المراد، إذ إنّ الفائدة المترتِّبة على الإيتاء هي كون هذا الكتابِ مجعولًا لهداية هؤلاء القوم، وهذا هو موطنُ المِنَّة؛ فصار الإيتاء خاصًّا بهم، متعلِّقًا بهم تعلُّقًا أوّليًّا.

سِرُّ وصفِ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ بالهُدى بصيغة المَصدر:

الهُدى الكاملُ مصاحِبٌ للمُتمسِّك بالوحي

المَصدر عند النُّحاة أصل المشتقّات، وهو يُؤدّي دورَها وأكثرَ منها، والتّعبيرُ به يفيد المبالغةَ في الحُكم، وإسنادَه لصاحبه، فيكون استعمالُه في أكثر المواطن أبلغَ مِن غيره، واستعمالُه في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مِن قَبيلِ هذه المبالغةِ؛ لِأنّ الهُدى بِسببِ العملِ بِما فيهِ؛ فجُعِل كأنّهُ نفسُ الهُدى، كقولِهِ تعالى في القُرآنِ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: 2][1].

نُكْتَةُ الاكتفاءِ بوصف التّوراة بالهُدى:

التّدرّج في الوصف مِن سمات أسلوب القرآن

اكتُفِيَ بذِكْر الهُدى في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ دون أن تُقْرَن به صفةُ النّور كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44]؛ لانصباب الكلام على إيتاء التّوراة موسى عليه السلام، مجعولةً هدايةً لإخراج بني إسرائيل بوساطة ذلك الكتاب، أمّا ما ورد في سورة المائدة مِن اقتران لفظتي الهُدى والنّور؛ فلِأنّ الكلام فيها مسوقٌ "لتقرير مزيد فظاعة حال أولئك اليهود ببيان عُلوّ شأن التّوراة على أتمّ وجه"[2]، كما أنَّ ما ورد في هذه السّورة سابقٌ للمائدة نزولًا، فأخبر ابتداءً عن هداية الكتاب، ثمّ أخبر عن كونه نورًا.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 25.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/ 142.

دلالةُ التّعبيرِ بفعل الجَعْل في: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾:

لا عِبْرةَ في الهُدى إن لـم يُـؤثِّـر الكلامُ المَسموعُ فـي الـفـعـل المَسبوك

الجَعْل في عُرف اللّغة: "تغييرُ صورةِ الشّيء بإيجاد الأثر فيه"[1]، والجَعْل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ مرادٌ به التّكليف، أي: تكليفُ بني إسرائيلَ تنفيذَ الأوامرِ والأحكامِ الواردة في هذا الكتاب الّذي هو التّوراة والعملَ بما فيها، فالتّوراة هدًى إذا تحوّلت مِن كلام مسموع إلى فعلٍ مسبوك، أمّا إذا بقيت كلامًا بدون أثرٍ، فلا معنى لهدايتها إلّا بالقوّة لا بالفعل، والمطلوبُ أن تكون فعلًا في واقع بني إسرائيل، وهو متوقّف على اختيارِهم، ولذلك لم يقل: (وهَدَينا به بني إسرائيلَ).

سِرُّ التّعبير ببني إسرائيلَ دونَ اليهود:

التّذكيرُ بالأصل الطّيّب يقوّمُ الفرعَ الشّارد

بنو إسرائيلَ اصطلاحٌ نَسَبيٌّ لا دينيٌّ، وهم المَنسوبون إلى نبيّ اللّه يعقوبَ ﷺ، واسمُه مُركّبٌ مِن" إيل" اسمٌ مِن أسماء اللّه تعالى، و"إسرا" وهو العبد أو الصّفوة مِنَ الخَلْق أو الإنسان أو المُهاجِر، وهو لقب سيّدنا يعقوبَ ﷺ، وأُضيف بنو إسرائيلَ إلى لقب نبيّ اللّه يعقوبَ ﷺ؛ لتحريكهم إلى طاعته، وقيل: قومٌ مِن أصلٍ ساميّ سُمّوا كذلك باسم يَهوذا أحدِ أبناءِ يعقوبَ، بخِلاف بني إسرائيلَ الّذين خُلِقوا بعدَ يوسفَ ﷺ.

توجيهُ القراءاتِ القُرآنيّة في: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾:

القراءتان اتّفقتا على الإنشاءِ بطريق الخبر والإنشاء

اخْتَلَف القُرّاءُ في قراءة: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾؛ فَقَرَأَ أَبو عَمْرٍو بِالغَيْب: ﴿أَلَّا يَتَّخِذُوا۟﴾، وَقَرَأَ الباقونَ بِالخِطاب[2]، فعلى قراءة الجُمهور: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ بتاءِ الخِطاب على الأصل في حِكايةِ ما يُحكى مِنَ الأقوالِ المُتضمِّنةِ نهيًا؛ تكونُ (أنْ) تفسيريّةً لِما تضمّنَهُ لفظُ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ من معنى الأقوالِ، ويكونُ التّفسيرُ لِبعضِ ما تضمّنهُ الكِتابُ اقتِصارًا على الأَهمِّ مِنهُ، وهو التّوحيدُ.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 142، 141.
(2) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/ 306.

وعلى قراءة أبي عمرو ﴿أَلَّا يَتَّخِذُواْ﴾ باعتِبارِ حِكايةِ القولِ بِالمعنى، أو تكونُ (أنْ) مصدريّةً مجرورةً بِلام محذوفةٍ حذفًا مُطّرِدًا، والتّقديرُ: (آتيناهُمُ الكِتابَ لِئلّا يتّخِذوا مِن دوني وكيلًا)[1]، أو تكون قراءة أبي عمرو جريًا على قوله تعالى: ﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ فهي على الأصل، والباقون بالخطاب التفاتًا[2].

والمعنى الجامع بينَ القراءتين، أنَّ قراءة الخطاب فيها مباغتةٌ في الخطاب، فهي انتقالٌ مِنَ الإخبار إلى الإنشاء، وقراءةُ أبي عمرو إخبارٌ مُرادٌ به إنشاء، فهما متّفقتان في المعنى، وإنْ اختلفتا في إيراده.

معنى الحرف ﴿مِن﴾ ودلالتُه:

أيُّ اتِّخاذٍ مهما دَقَّ أو قَلَّ داخِلٌ في المَنهيِّ عنه

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِي﴾ لابتداء الغاية؛ والمعنى: لا تتخذوا وكيلًا ابتداءً مِن مخالفةِ شرعي وديني؛ فإنَّ أيَّ اتّخاذٍ يكون مخالفًا لشرعِ اللّه تعالى فهو بدايةُ الضّلالِ المَنهيّ عنه، وهي نظيرُ النَّهي عنِ اتّباع خطواتِ الشّيطان، فإنَّ اتِّباع الخطوةِ الأولى فالتّالية موصلٌ إلى الضَّلال، وكذلك هنا، فإنَّ اتّخاذ أيِّ وكيلٍ ابتداءً مِن مخالفة الشّرع مهما دَقَّ هو داخلٌ في المَنهيِّ عنه.

دلالةُ إضافةِ ﴿دُونِي﴾:

دعـوةٌ للنّظر والتّأمّل في صنيع الله تعالى وإنعامِه على بني إسرائيل

ورد لفظُ (دون) مضافًا إلى ضمير المُتكلِّم ﷻ في قوله: ﴿مِن دُونِي﴾؛ اختصارًا وإيجازًا، والتّعبير بضمير المُتكلِّم إحضارٌ قويٌّ لذاته تعالى، ولمّا كان السّياق كلُّه مِن أوّل الآية متضمِّنًا ضمائرَ العَظَمةِ في الإيتاء والجَعْل، والنّهي عن اتِّخاذ الوكيل، وكلُّها بأسلوب المُتكلّم الحاضرِ، ناسَبَ عدم صرفِ الحديث إلى الغائب؛ ليلفِتَ الأذهان المُنصرفة إلى جلاله تعالى وقُدرته، وأنّه هو الوكيل الّذي يجب أن يُلجأ إليه، لا أحدَ غيره.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 26، 25.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 7/ 308.

سرُّ التّعبيرِ بلفظ ﴿وَكِيلًا﴾:

آثَرَ النَّظمُ ذِكْرَ صفةِ الوكيل دونَ غيرِها، والوكيلُ فعيلٌ بمعنى مفعول، وهو المَوكول إليه، أي: المُفَوّض إليه الأمورُ وهو الرّبّ[1]؛ وذلك للتَّنبيه على سَفَه آرائهم في تَرْك مَن يكفي في كلِّ شيء، إلى مَن لا كفاية عنده لشيء[2]، "وقد عُرِف إطلاقُ الوكيلِ على اللّهِ في لُغةِ بني إسرائيل كما حَكَى اللّهُ عن يعقوب وأبنائِهِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسُف: 66]"[3].

مَـنِ اتَّـكـل على غير الله تعالى اتَّـــكـــل عـلى سَرابٍ، ومصيرُه إلى خَراب

دلالةُ التّنكير:

النّكرةُ ما شاع في جنسه دون أن يَدُلَّ على معيّن، فجاءت كلمةُ ﴿وَكِيلًا﴾ نكرةً؛ لأنَّها لم تدلّ على وكيل بعينه، وإنّما عُبِّر بها للدَّلالة على التّقليل والتّحقير لشأن هذا الوكيل المُتّخذِ من دون اللّه ﷻ، وهذا تعريضٌ بسَفَه هؤلاءِ وحماقتهم، حين يتركون صاحبَ القوى والقُدَر، ومَن يملك أَزِمّة الأمورِ وبيده مقاليدُها، ويتوجّهون إلى غير اللّه تعالى مِن صنم ونحوه ممّن لا يملكون لأمرهم شيئًا، ففِعْلُهم هذا دليلٌ على سَفَههم وحَماقتِهم الّتي لا نهايةَ لها.

الإعـــراض عـنِ الـقـويّ الـعـزيـز كِـبْرٌ، والـتَّـوجُّـهُ إلى الـضَّـعـيـف الذّليل حماقَةٌ

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالمفرد:

أُفرد الوكيلُ في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ والمخاطَبون جمعٌ؛ فاتّخاذُهم سيكون لأكثرَ مِن وكيل؛ لإرادة الجِنس، وشيوع النّكرة في كلِّ ما يَصْدُق عليه هذا الاسمُ، فهو فعيلٌ بمعنى مفعول، يستوي فيه الواحدُ والجمعُ والمُذَكّر والمُؤَنّث، "فالإفرادُ لِما أنّ فعيلًا مفردٌ في اللّفظ، جمعٌ في المعنى"[4]، ونُكْتَةُ الإفراد أن يبقى هذا اللّفظ قائمًا لدلالته الاستغراقيّة لكلِّ ما

كـلُّ مَـن يُلتجأ إليه في الحوائج مـن دون الله داخـلٌ في المَنهيِّ عنه

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 15/ 15.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 295.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 26، 25.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 156.

يصدُق عليه هذا الاسمُ، ولكي لا يُظَنّ أنَّ هناك وكلاءَ مقصودين جاء النَّهي عنِ اتِّخاذهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإيتاء والإعطاء:

الإيتاءُ الإعطاءُ، تقولُ: آتى يُؤتي إيتاءً، وتقولُ: هاتِ بمعنى آتِ، أي: فاعِل، فدخلتِ الهاءُ على الألِف، وتقولُ: تأتّى لِفُلان أمرُهُ، وقد أتّاهُ اللّهُ تأتيةً[1]، وخُصّ دفعُ الصّدقة في القرآن بالإيتاء[2]، وأمّا الإعطاء فهو مِنَ العَطوِ: التّناول، والمعاطاة المُناولة، والإعطاء: الإنالة، واختصّ العطيّة والعطاء بالصّلة[3]، والإعطاء: أصلٌ واحِد صحيح يدُلُّ على أخذٍ ومُناولة، لا يَخرُجُ البابُ عنهُما، فالعَطوُ: التّناوُلُ باليدِ، والمُعاطاةُ: المُناولةُ، ويُقالُ: عاطَى الصّبيُّ أهلَهُ، إذا عمِل وناول ما أرادوا، والعطاءُ: اسمٌ لِما يُعطى، وهي العَطيّةُ، والجمعُ عطايا، وجمعُ العطايا أُعْطِيَة[4]، فالفرق بينَ الإيتاء والإعطاء: أنَّ الإيتاء يكون بوساطة وبدون وساطة، والإعطاء يكون مناولةً، كما أنَّ الإيتاء يغلب في المعنويّات والمَحسوسات، والإعطاء يغلب في المحسوسات.

الإيتاء يكون بمناولةٍ وبغير مناولة، والإعطاء يكون بمناولة

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أتى).
(2) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(3) الرّاغب، المفردات: (عطا).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عطو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»